الفصل الثاني

حقائق تاريخية

الحرم الشريف

الحرم الشريف هو الساحة التي تضم الأماكن المقدسة للمسلمين، المسجد الأقصى والصخرة وقبة الصخرة وحائط البراق.

ففي ساحة الحرم أعاد الأمويون بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وهذه المواقع الإسلامية لم يجر بناؤها على أي من مقدسات اليهود، فالتاريخ والحفريات الأثرية أثبتت أنه لا وجود لليهود في هذه البقاع، رغم أنهم وجدوا فيها كمستعمرين لفترة زمنية محددة بـ ٤٩٠ سنة فقط.

وتتكون ساحة الحرم الشريف من أرض مسطحة تم تسويتها في عهد «هيرودس» الذي كان أول من قام ببناء أسوار حول الساحة، ثم قام المسلمون بعد ذلك بإعادة بناء الأسوار لتحيط بكل ساحة الحرم الشريف، وهي على شكل رباعي شبه منحرف طول ضلعه الشمالي ٣١٠ مترا، والجنوبي ٢٨١ مترا، والشرقي ٤٦٢ مترا، والغربي ٤٩١ مترا، ويمثل الحائط الشرقي للساحة الحافة الشرقية لمدينة القدس نفسها، كما يقع الجزء الشرقي من السور الجنوبي عند الحافة الجنوبية للمدينة، وهناك خمس عشرة بوابة لساحة الحرم الشريف، وإن لم تعد جميعها مستخدمة الآن.

كما تضم ساحة الحرم الشريف إلى جانب المسجد الأقصى وقبة الصخرة العديد من المباني، مثل قبة المعراج، وموقع البراق، ومحاريب ومنابر ومزارات تحمل أسماء الأنبياء إبراهيم ويوسف ويعقوب وعيسى عليهم السلام.

وفي عصر المماليك بنيت أوقافا يتم الإنفاق منها على المكان كله،

تتضمن خانات وأسواقا ووكالات تجارية وحمامات تقع في شمال وغرب أسوار الحرم الشريف، ويعد الحرم الشريف أقدم تحفة معمارية ترمز إلى الإسلام وبعده الديني والحضاري.

قبة الصخرة

تعد قبة الصخرة أول بناء قام به المسلمون في التاريخ الحديث في مدينة القدس في ساحة الحرم الشريف، ذلك في عام ٦٩١ في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، والبناء لم يقم على أنه مسجد أو يأخذ شكل المساجد المعروف، فهو عبارة عن قبة مقامة فوق أرضية مرتفعة مثل المسطبة، تم تشييدها في وسط الحرم تقريبا، والقبة تقع فوق صخرة كبيرة في غرفة تحت سطح الأرض مكشوفة من أعلى.

ويتم الصعود إلى مسطبة قبة الصخرة من ثمانية مواقع لدرجات السلم تم بناؤها، والبناء نفسه على شكل أسطواني ارتفاعه ٣٠,٣ مترا وقطره ٣٠,٢ مترا، كما أن للبناء أربعة بوابات مسقوفة، يحيط به من الخارج ممران على شكل ثماني الأضلاع طول كل ضلع عشرين مترا ونصف المتر.

وفي الداخل عدد من الأعمدة والدعامات، والحوائط مغطاة بالرخام ونقوش الموزايك، وعليها بعض الكتابات والآيات القرآنية.

والمسلمون لا يؤدون صلواتهم عند قبة الصخرة أو يتوجهون إليها في الصلاة، لكنهم يقومون بزيارتها والتبرك بها.

أما الصخرة التي تقع تحت سطح الأرض فكانت مذبحا لليبوسيين السكان الأوائل لمدينة أورشليم القدس قبل وصول اليهود

بآلاف السنين، لذلك فادعاء يهود إسرائيل اليوم بأن الصخرة هي قدس الأقداس في معبد سليمان فادعاء كاذب لم يتم إثباته من خلال الوثائق التاريخية المكتشفة عن هذا المكان.

المسجد الأقصى

سئل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «يا رسول الله ما أول مسجد وضع في الأرض ؟

قال عليه السلام: المسجد الحرام.

قيل: ثم أي ؟

قال: المسجد الأقصى.

قيل: يا رسول الله كم بينهما ؟

قال: أربعون سنة»

(رواه البخاري)

فالمولى سبحانه وتعالى أمر سيدنا آدم عليه السلام ببناء الكعبة المشرفة، وكانت أول بيت لله في الأرض، ثم أمره بعد ذلك ببناء المسجد الأقصى في القدس الشريف، ومرت الأيام وجاء سيدنا إبراهيم عليه السلام، وبأمر من الله سبحانه وتعالى أعاد بناء الكعبة المشرفة في المسجد الحرام، إذ جاء في القرآن الكريم قول الله سبحانه:

﴿وإذ يرفع إبراهيمُ القواعدَ منَ البَيْت وإسْمَاعِيلُ رَبَّنَ تقبَّل منَا إنك أنت السميعُ العليم﴾ (سورة البقرة: آية ١٢٧).

وظل الأمر كذلك حتى جاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأقام مسجده في المدينة المنورة، وصلى في المسجد الأقصى إماما

بكل الأنبياء والرسل في ليلة الإسراء والمعراج.

وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بدأت أعمال إعادة بناء المسجد الأقصى، وأقيم جنوب قبة الصخرة ملاصقا للحائط الجنوبي لساحة الحرم الشريف، إلا أن بناء المسجد لم يكتمل إلا في عهد أبنه الوليد (٧٠٥ ـ ٧١٥)، وبينما أصبح المسجد الأقصى من أهم أماكن العبادة عند المسلمين، لكونه ثالث الحرمين، واحد المساجد التي تشد إليها الرحال، كما أن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة فيما سواه.

وبالتالي فالمسجد الأقصى لا يعتبر مكانا مقدسا عند اليهود، كما أكد التاريخ من خلال المكتشفات الأثرية أن أرض المسجد الأقصى لم تستخدم من قبل كمكان تتعبد فيه اليهود، طوال الفترات القليلة لوجودهم في فلسطين، هذا بالإضافة إلى أنه لا توجد أسفله ممرات أو بنايات قديمة يمكن نسبتها إلى هيكل سليمان المزعوم.

والمسجد يتكون من قاعة كبيرة بها أعمدة، تنقسم إلى عدة ممرات تمتد في شكل عمودي في اتجاه القبلة (البيت الحرام) في الجنوب، وأقيم الممشى الرئيسي في وسط المسجد على نفس المحور الذي أقيمت عليه قبة الصخرة.

والمسجد مفتوح على ساحة الحرم الشريف في جانبيه الشرقي والشمالي، ويدخل المصلون المسجد عن طريق أنفاق تحت الأرض في الجنوب حيث كان يسكن المسلمون [١].

---

(١) راجع أكثر تفصيلا كتابات المقدسي وناصر خسرو التي سجلاها خلال القرن العاشر، وكتاب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» لمجير الدين العلامي الصادر في نهاية القرن الخامس عشر.

وبعد حوالي قرن من بناء المسجد الأقصى الأموي، قام العباسيون بتعميره وتجديده على فترات متتالية ما بين أعوام ٧٧١ و٨٤٤، في عهد الخلفاء المنصور والمهدي وعبد الله بن طاهر. إلا أن المسجد الأقصى تعرض لدمار شديد عام ١٠٣٣ عندما وقع زلزال قوي أدى إلى انهيار أجزاء كبيرة منه، فقام الخليفة المنتصر بإعادة بنائه عام ١٠٦٥.

وقد تم العثور على بقايا ثمينة من القطع الخشبية المشغولة، التي تساقطت من البناء الأموي، وتم حفظها في متحف فلسطين بالقدس، إلا أن المستعمر الإسرائيلي الحالي استولى على المتحف واسماه متحف «روكفيلر».